ويكفي للاستدلال على المعاناة الكبيرة التي عانى منها هؤلاء الفلسطينيون، المرور على ما قاله مستشار رئيس الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية في أوائل الخمسينات، أوري لوبراني: «علينا ان نعمل على جعل العرب حطّابين وسقاة ماء. فالعربي الجيد هو العربي الأمّي». وهذا القول الذي وُظِّف بشكل كثيف في الادب الصهيوني، يلخّص، ويوضح، الرؤية الصهيونية وسياستها العدوانية المتّبعة ضد المواطنين في الاراضي المحتلة، الذين استطاعوا المحافظة على لغتهم الأم، كركيزة أساسية في وجه كل مخططات التهويد الصهيوني المسعورة، والتي انبثقت، أساساً، من حالة عداء مستحكم ضد كل ما هو فلسطيني، وما أفرز هذا العداء من محاولات طمس، واذابة، للهوية الوطنية الفلسطينية، أو دعوات الطرد من البلاد (الترانسفير)، أو سياسة التجهيل المبرمجة، والتي ارتكزت، أساساً، على النظرة العنصرية الى كل ما يتعلّق بحياة هؤلاء الفلسطينيين، اجتماعياً وفكرياً وسياسياً، في ظل سياسة الحكم العسكري، بأنظمته وقوانينه التي من خلالها فرضت السلطات الاسرائيلية حصاراً كاملاً استمر ثمانية عشر عاماً على المناطق المحتلة العام ١٩٤٨. بل وحتى حينما رفع هذا الحكم العسكري ـ صورياً ـ في العام ١٩٦٧، ظلت أنظمة الطوارىء، بمختلف أنواعها، والمعمول بها، تلاحق المواطنين في جميع الاتجاهات.

وتبدو البدايات للمعارك الاولى التي خاضتها الجماهير العربية ضد الاحتلال، منذ السنوات الاولى لقيام الدولة الاسرائيلية، حينما أعلن المسؤول عن الاقليات في الحزب الحاكم (مباي) آنذاك الانتقال، تدريجياً، من اللغة العربية الى اللغة العبرية كلغة تدريس في المدارس العربية، وذلك بهدف وأد اللغة العربية، وبالتالي الاجهاز على الثقافة والفكر الوطنيين الفلسطينيين.

وقد تعدّدت المؤامرات والخطط والبرامج الصهيونية في هذا المجال. «وفي الخمسينات، عندما أصدر الحاكم العسكري أمراً بمصادرة مطبعة ' الاتحاد ' ، أسرع عمّال المطبعة وخبأوا الحروف في أكياس الطحين، في بيوتهم، ليحافظوا على الحرف العربي واستمرارية صدور الصحيفة»[١].

وكانت مهمة الادب الفلسطيني الاولى، في تلك الفترة، وما زالت، الحفاظ على الهوية الوطنية، والتشبّث بالارض، والتصدي لمخططات التهويد، التي تسلّلت عبر محاولات فرض اللغة العبرية، كلغة رسمية في المناهج التعليمية، مروراً بالمحاولات الدؤوبة، والمتواصلة، لتهويد الارض والانسان على السواء، الامر الذي نتج عنه اصرار الشتبّث بالارض ومقاومة الاحتلال بشتّى السبل المتاحة، اللذان طبعا، ووسما، الادب طوال تلك الفترة.

ونتيجة لذلك، تعرّض الادباء والشعراء والفنّانون الفلسطينيون لحملات قمع مسعورة ولاانسانية، اضافة الى المعاناة الكبيرة التي يعانونها في مقاومة الاحتلال والتصدّي له على أراضيهم المحتلة. ووصف الكاتب الفلسطيني سلمان ناطور الوضع الذي يعاني منه المثقفون الفلسطينيون تحت ظل السلطات الاسرائيلية بـ «اننا مازلنا نعيش واقع حصار مستمر. نحن نكتب بين اسوار سجن كبير، والحرية المعطاة لنا هي حرية التنقّل من زنزانة الى زنزانة. ان الحديث عن حرية التنقّل بين الزنازين على مسامع السجناء هو أقرب الى النفس، ويبدو واقعياً، خصوصاً اذا كانت فترة الاعتقال غير محدودة زمنياً، ويعلن عنها انها الى ما لا نهاية. والحديث عن حرية التنقّل خارج أسوار السجن يبدو بعيداً من الواقع، واحياناً يسمع كأنه الهذيان والمستحيل والطوباوية»[٢]. على ان هذا الشعور النابع من المعاناة من الواقع تحت الاحتلال قد تخطّى ذاته وعبّر عنها أيّما تعبير في أدب ثرٍ وسط بيئة الأسر الثقافي العام: «وفي الفترة التي امتدت بين ١٩٤٨ و١٩٦٨، قدّم المثقفون العرب